

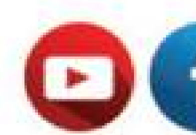
سلسلة توجيهات للمرأة المسلمة (١٩)

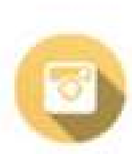
عائشة رضي الله عنها

فقيهة النساء

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي




بسم الله الرحمن الرحيم

أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورد في فضائلها كثيرٌ من أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها: ما جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: " أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَتْ عليه والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عليه في مِرْطِها، فأذِنَ لَهَا، فدخلت" أذن لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، "فَقالَتْ: يا رسول الله، إنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ العَدْلَ في ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْ بُنَيَّةُ أَتُحِبِّينَ ما أُحِبُّ؟» قالَتْ: بَلَى، قالَ: «فأحِبِّي هذِه»" فأحبي عائشة.

" فَقَامَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَخَرَجَت، فَحَدثتهُن (حدثت أمهات المؤمنين) فَقُلْنَ: ما أَغْنَيْتِ عَنَّا شيئًا، فَارْجِعِي إليه، قالت: وَاللَّهِ لا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا، فأرسَلنَ زَيْنَبَ زَوْجَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "زَيْنَب بنْت جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين "فاستأذنت" لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في بيت عائشة،

وفي يوم عائشة، "فاستأذنت، فأذِنَ لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت له ذلك" نفس الكلام السابق "إنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ العَدْلَ في ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ" وتقول عائشة: "ووقعت فيَّ زينب تَسبني" تؤذيها وتشتمها أمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت عائشة: "فطفقت انظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هلْ يَأْذَنُ لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فلم أزل انظر إليه" وهذه تشتم وتسب زينب، تقول: "فَلَم أزَل حتَّى عَرَفْتُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ".

وقد جاء في حديث مسلم، قال لها: «دُونَكِ فانْتَصِرِي» دافعي عن نفسكِ، انتصري لنفسك يا عائشة، قالت عائشة: "فَوَقعت بزينب، فَلمْ أَنْشَب أَنْ أَثْخَنْتُهَا غَلَبَةً، فتبسَّم رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «أَمَا إِنَّها ابْنَة أَبِي بَكْر»". هذا الحديث في الصحيحين، هذا لفظ الإمام مسلم في صحيحه.

وكذلك أيضًا عند البخاري وفي السنن: "كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع

أصحابه في بيت عائشة، فأرسلت إحدى زوجاته بقصعةٍ فيها طعام" صحن فيه طعام "فغارت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فضربت بالقصعة على الأرض فتكسرت وتناثر الطعام في المكان، في حضور صحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "فأخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطعام بيده، وقال: «غَارَت أُمكُم» "يعتذر لعائشة "ثم أمر بإرسال قصعةٍ بدلها وانتهى الأمر".

هذان الحديثان فيهما فضل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وأنها كانت أحب نسائه له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عندما قال لفاطمة: "«أَيْ بُنَيَّةُ أَتُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟» فَقَالَتْ: بَلَى، قالَ: «فأَحِبِّي هذِهِ»". يأمر ابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن تحب عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. هذا فضل عظيم لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وقدرها، وكرامتها عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا من فضائلها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ما أخرجه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه من حديثها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: "قلت: يا رسول الله،

أرأيت لو نزلت واديًا وفيه شجرةٌ قَدْ أُكِل مِنْهَا، ووجدت شجرة لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «فِي الَّتِي لم يَرْتَع مِنْهَا» ".

يعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها، وهذا من فضائل عائشة رضي الله عنها.

وكذلك أيضًا من فضائلها: ما أخرجه الشيخان من حديثها رضي الله عنها قالت: "قال لي رسول الله ﷺ: «أُرِيتُكِ فِي المنَام»" رآها النبي ﷺ في المنام «يجيء بكِ الملَك فِي سَرْقَةٍ مِنْ حَرِير» في قطعة قماش من حرير، «فَقَالَ لِي: هَذِه امْرَأتُك» صورة عائشة رضي الله عنها في هذه الحريرة، فقال ﷺ: «فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْب، فَإِذَا أَنْتِ هِي» هذا قبل زواج النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها، «فَقُلْتُ: إنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْد الله يُمْضِه» فهي رضي الله عنها رآها النبي ﷺ في المنام، بل الملك جاء بصورتها إلى رسول الله ﷺ، وقال: «هَذِهِ امْرَأتُك».

وكذلك أيضًا من فضائلها: ما أخرجه

الشيخان من حديثها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: "أنها استعارت من أسماء قلادة" أسماء بنت أبي بكر أختها، "استعارت قلادة من ذهب فهلكت" وضاعت القلادة في سفرة من السفرات، "فأرسل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناسًا من أصحابه" قيل: إن هذه القصة كانت في غزوة تبوك.

فأوقف الجيش صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرسل الصحابة يبحثون عن قلادة أسماء التي أضاعتها عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، "فأرسل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناسًا من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة، فصلوا بغير وضوء" لأنها لم تنزل آية التيمم، وما عندهم ماء، فلما أتوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة:٦] نزلت بسبب عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

"فقال أسيد بن حضير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: جزاكِ الله خيرًا، فوالله ما نزل بكِ أمرٌ قط إلا جعل الله لكِ منه مخرجًا، وجعل للمسلمين فيه بركة".

وهذا فضل عظيم لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وهكذا

لو استعرضنا فضائل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لن تنتهي، لكن لا بد من ذكر أمهات المؤمنين حتى يكن قدوةً لنسائنا، وأمهاتنا، وأخواتنا، وبناتنا ينظرن في سير أمهات المؤمنين، في سيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يتعلمن التقوى، ويتعلمن العلم، ويتعلمن الفقه، يتعلمن الأدب.

أيضًا كانت النسوة على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تطوف مع الرجال، الطواف حول الكعبة، لكن غير مختلطات بهم، ولم يكن لهن وقت ينفردن فيه بالطواف، ودل على ذلك ما في صحيح الإمام البخاري من طريق ابن جرير، قال: "أخبرني ابن عطاء، إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال، قال: كيف يمنعهن، وقد طاف نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الرجال، قلت: أبعد الحجاب أم قبل؟ قال: أي لعمري، لقد أدركته بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطن الرجال، قال: لم يكن يخالطن" يعني: لا يطوفن مع الرجال في نفس المكان.

"كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تطوف حجرةً من الرجال" يعني: تطوف بالبيت بعيدة عن الرجال، "لا تخالطهم، فقالت امرأةٌ: انطلقي" تقول لعائشة: "انطلقي نستلم الحجر يا أم المؤمنين، قالت: انطلقي عني، وأبت، يخرجن متنكراتٍ بالليل، فيطوفن مع الرجال، ولكنهن كنَّ إذا دخلنَ البيت قمنَ حتى يدخلنَ" يعني قمنَ بعيدًا، ابتعدنَ عن الرجال، "وأُخْرِجَ الرجال".

قالت: "وكنت آتي عائشة أنا وعبيد بين عمير وهي مجاورةٌ، قلت: وما حجابها؟ قال: هي في قبةٍ تركية" خيمة تركية لها غشاء، "وما بيننا وبينها غير ذلك، ورأيت عليها درعًا موردًا" هذا الحديث فيه بيان عفة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعدم اختلاطها بالرجال، وخاصةً في الطواف تبتعد عن الرجال من حيائها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وكانت فقيهة النساء، كانت تُعلِّم الرجال، وكانت تضع بينها وبين الرجال حجاباً، وهي أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذا من فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أيضًا ما أخرجه البخاري من حديث عائشة، قالت: "جاء عمي من الرضاعة".

كيف يكون العم من الرضاعة؟

إذا كانت امرأةُ الرجلِ أرضعتْ ولدًا، فأخو هذا الأب الذي أرضعت زوجته هذا الطفل، يكون أباً من الرضاعة، فأخوه يكون عماً من الرضاعة لهذه البنت، عمها من الرضاعة محرمٌ مؤبدٌ عليها.

قالت: "جاء عمي من الرضاعة، فاستأذن عليَّ" استأذن أن يدخل على عائشة، وهي ما تعرف الحكم الشرعي، قالت: "فأبيتُ أن آذن له حتى أسألَ رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك، فقال: «إِنَّهُ عَمكِ، فَأذَنِي لَهُ».

قالت: "قلت: يا رسول الله، إنما أرضعتني المرأة" أرضعتني زوجة أخيه "ولم يرضعني الرجل، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ عَمّكِ، فَليَلِج عَلَيْكِ»" قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "وذلك بعد

أن ضُرِب علينا الحجاب" قالت عائشة: "يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة".

الشاهد من هذا الحديث: فقهها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورجوعها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وكذلك النساء يقتدين بأم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عائشة، فما استشكل على النساء من شيء من أمور دينهن يرجعن إلى العلماء، ويسألن العلماء.

أيضًا من فضائلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما رواه الإمام أحمد، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعائشة: «هَذَا جِبْرِيل، وَهُوَ يَقْرَأ عَلَيْكِ السَّلَام يسلم عليكِ جبريل -عليه السلام-» فقالت: "وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا نرى يا رسول الله" أنت ترى جبريل، نحن لا نراه، فجبريل -عليه السلام- يسلم على عائشة، أليس هذا يدل على فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟

أيضًا ما في الصحيحين يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فَضْل عَائِشَة عَلَى النِّسَاء، كَفَضْل الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَام» في أيامهم كان الثريد هو أفضل الطعام عندهم، فقال: «إِنَّ فَضْل عَائِشَة عَلَى النِّسَاء، كَفَضْل الثَّرِيدِ عَلَى

سَائِرِ الطَّعَامِ» وهذا صريح في فضل عائشة عن بقية النساء.

أيضًا روى أحمد والبخاري من قول عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أن عائشة زوجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة" فعائشة من المبشرين بالجنة؛ لأنها زوجة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا روى أحمد عن عبيد الله عن عبد الله بن عبيد، قال: "استأذن ابن عباس على عائشة في مرضها ،مرض موتها الذي ماتت فيه ،فأبت أن تأذن له ،أبت أن تأذن لعبد الله بن عباس ،فلم يزل بها حتى أذنت له، فسمعها وهي تقول: أعوذ بالله من النار، هذا في مرض موتها،قال ابن عباس: يا أم المؤمنين، إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أعاذكِ من النار، كنتِ أول امرأةٍ نزل عُذرُهَا من السماء".

فهذا أيضًا يدل على مكانة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ برأها من فوق سبع سماواتٍ في قصة الإفك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذا يدل على فضلها.

أيضًا نختم من فضائل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما رواه البخاري: قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "قُبِضَ رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيتي، وفي يومي، وعلى صدري، وكان آخر ما أصاب من الدنيا ريقي، مضغت له السواك، فناولته إياه" فتسوك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسواك الذي مضغته عائشة، "ثم انتقل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرفيق الأعلى". هذا يدل أيضًا على فضل عائشة.

هذه تذكرة فقط لنعرف مكانة صحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومكانة أمهات المؤمنين، ومكانة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وعلينا أن نقرأ في سيرة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن نتعلم من فقهها، ومن أدبها، ومن حبها لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجمعنا وإياها في جنته، ويحسن لنا ولكم الختام.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.